نشأة اللسانيّات الجغرافيّة و سؤال العلميّة

The emergence of geographical linguistics and the question of Scientific

م. م حسن سوادي طعمة البولانيّ
جامعة واسط (العراق)
Hassansawady190@gmail.com

أ.د علي حسن عبد الحسين الدلفيّ
جامعة واسط (العراق)
aaldlfee@uowasit.edu.iq

تاريخ الإرسال: 2022/11/04	تاريخ القبول: 2022/12/09

الملخّص:

يشتغل هذا البحث على مساحة مهمّة ومتميّزة من مساحات الدرس اللسانيّ، تمثّلها اللسانيّات الجغرافيّة التي اتّصفت بنسق تطوّريّ،وبحث دائم، وتفاعل مستمرّ، وقد أفضى هذا التطوّر إلى انفتاح الدراسات اللسانيّة على الحقول العلميّة المجاورة، وتنشيط الحقل اللسانيّ العامّ، والتبشيربولادة فروع لسانيّة جديدة، ومنها ظهور اللسانيّات الجغرافيّة في البيئة الغربية، ومن هنا يأتي البحث كاشفًا عن هذه اللسانيّات في بيئتها الأولى، ويقف على تشخيص حقيقيّ للأسباب التي جعلت رواد البحث اللساني الغربي يركزون على هذا العلم، ومنها أنّه يتصف بالعلميّة التي كانت عنوانا مركّزا للدراسات اللسانية الحديثة.

الكلمات المفتاحية: (اللسانيات الجغرافية، سؤال العلم، علم اللغة الجغرافي، الأطلس اللغوي)

Abstract:

This research operates on an important and distinct area of the linguistic study areas, represented by geographical linguistics, which is characterized by an evolutionary pattern, permanent research, and continuous interaction. Among them is the emergence of geographical linguistics in the Western environment, and from here comes the research revealing this linguistics in its first environment and standing on a real diagnosis of the reasons that made the pioneers of Western linguistic research focus on this science, including that it is characterized by the scientific label that was a focused title for modern linguistic studies..

Keywords:(Geographicallinguistics, emergence of geographical linguistics,geographical linguistics, linguistic atlas)

مقدمة:

لقد شكّل ظهور اللسانيّات الجغرافيّة ملمحًا تطوّريًّا في حركة النشاط اللسانيّ، ومظهرًا مهمًّا من مظاهر تصدّر اللسانيّات؛ لما حقّقته من نجاح في عقد محاورة متفوّقة مع العلوم الأخرى، ومنها علم الجغرافية الذي انتجت تزاوج اللسانيّات له عن ولادة هذا الفرع العلميّ الحديث، وعلى ذلك فإنّ لهذا العلم أهمّيّة واسعة؛ إذ يقدّم معلومات تفصيليّة عن الوضع اللغويّ لغات ولهجات العالم، ويعقد المقارنات بينها في ضوء العوامل الموضوعيّة، كعدد المتكلّمين والتوزيع الجغرافيّ، وانتشار اللغات، والأطلس اللغويّ.

واتّساقًا مع ما تبتغيه هذه الدراسة، فقد انتظمت في محورين، يبحث الأوّل في ولادة اللسانيات الجغرافية، ويشتغل الأخر على أثبات علميتها، وعن الأسباب التي جعلت (دي سوسير) يركز في محاضراته عليها دون فروع اللسانيات الأخرى، وجاءت الخاتمة تلخيصًا لأهمّ نتائج الدراسة.

المحور الأوّل: نشأة اللسانيّات الجغرافيّة:

مع بداية القرن العشرين تشكّلت معالم سلطة معرفيّة جديدة في عالم اللغة، وضع أسسها النظريّة العالم السويسري (دي سوسير *Ferdinand de Saussure*) في محاضراته التي ألقاها على طلبة الدراسات العليا، وجمعها فيما بعد (شارل بالي *Charles Bally*، وألبرت سيكاهي Séchehaye *Albert*)[1]، ولمّا كانت خصائص كلّ حقل علميّ تنبع من خصائص موضوعاته، فإنّ محاضرات (دي سوسير)، شكّلت الانطلاقة الفعليّة لعلم اللسانيّات الجغرافيّة؛ إذ جاءت تحمل طابعًا علميًّا متكاملًا؛ لأنّها ارتكزت على تراكم معرفيّ قديم تعود نواته الأولى إلى القرن التاسع عشر، وربما قبل ذلك بحسب بعض الباحثين[2].

وإذا أردنا أن نمسك الأمر من أوّله علينا العودة إلى الجذور التي انطلقت منها اللسانيّات الجغرافيّة والوقوف عليها؛ بقصد رصد تجليّات هذا العلم في بيئته الأولى، وعليه تُعدّ محاولة العالم (دانتي Dante Alighieri) في كتابه (العامّيّة والفصحى) الذي ظهر في سنة (1305م) البداية الجدّيّة في البحث عن الاشتقاقات اللغويّة والمقارنة بين اللغات وأمكنه أن يتوصّل إلى أنّ اللغة الإيطاليّة واخواتها من اللغات الرومانسيّة ترجع إلى أصل لاتينيّ، ونجح في حصر اللهجات الإيطاليّة وتبويبها، ولعلّ هذه الأعمال تمثّل ملمح من ملامح ظهور اللسانيّات الجغرافيّة، ولذا فإنّ هذا الحدث له أهمّيّة كبيرة في ظهور اللسانيّات الجغرافيّة[3].

وبعد بحوث (دانتي) وسقوط القسطنطينيّة أخذ الغرب يهتمّون كثيرًا باللغة اليونانيّة القديمة، فقاموا رحلات استكشافيّة في أفريقيا وآسيا والعالم الجديد، وظهرت في القرنين الخامس عشر والسادس عشر كثير من القواعد النحويّة للهجات الأوربيّة الدارجة، وللغات الشرق فأثارت بحوث (دانتي) السابقة سلسلة من البحوث والمناقشات في داخل إيطاليا وخارجها، تدعو إلى التحدّث

باللهجات المحلّيّة بطريقة صحيحة، وإنشاء أكاديميّة للغات وهي أكاديميّة كروسكا في سنة (1567م)[4].

وأخذ العلماء بعد ذلك يناقشون تقسيم اللهجات المحلّيّة لمعرفة الحقائق الموضوعيّة من الألفاظ التي ليس لها وقع جميل على الأذن إلى أن جاء (مابلون ودي كانج) ليوكّد النظرة الموضوعيّة للغة والبحث عن الحقيقة بدلا عن الرجم بالغيب، فوضعوا قواعد لإثبات صدق المخطوطات القديمة، وكذلك قاموا بالبحث عن أصول الكلمات ومشتقّاتها، ولم يكتفوا بذلك كسابقيهم، بل أخذوا على عاتقهم اكتشاف أصول اللغات الغربيّة، وجاءت بعدهم عدد من المحاولات الجديدة لتبويب اللغات، وكذلك دراسات جديدة حاولت إخضاع لغات العالم لقواعد نحويّة عالميّة مثل كتاب النحو المسمّى بـ(نحو بورث رويال)[5].

وقد ظهرت في القرنين السابع عشر والثامن عشر محاولات عديدة للمقارنة بين اللغات إلّا أنّها كانت غير ناجحة، فقد اهتمّ العلماء بتحليل واكتشاف مبادئ النحو لبعض اللغات، منها اللغة الرومانسيّة؛ فأخذ العالم (لاكورن دي سانتB.LaCurne*de* Sainte) على عاتقه محاولات عديدة لمقارنة اللغات الرومانسيّة ودراستها، وأخذ بونامي أهمّيّة اللهجة العامّة التي يتحدّث بها سكّان جريجوري في منطقة توز، واعتبرها لهجة منقسمة من أصل اللغة الرومانسيّة، كما برزت محاولات عديدة من قبل العلماء للعثور على مجموعة كبيرة من مخطوطات العصور الوسطى، وأخذ بعضهم العمل على أطلس لغويّ للغة غاليبيا[6].

ويرى (ماريو بايMario Andrew Pei) أن القرن التاسع عشر امتاز بغلبة الدراسات اللغوية التاريخيّة المقارنة على مشهد الدرس اللغويّ بوجه عامّ، فأخذوا يبحثون عن أوجه الشبه والاختلاف بين اللغات البشريّة، بينما في القرن العشرين غلب طابع الوصفيّة للغات، وكذلك دراسة العوامل التي من الممكن أن تؤثّر فيها، وبرز ذلك عند (دي سوسير) عندما عرّف اللسانيّات العامّة، ووضّح أغراضه في أنّ "البحث عن القوى المؤثّرة باستمرار، بشكل عام في جميع اللغات، ومن أهدافه أيضا الوصول إلى قوانين عامّة على أساس ما نشاهده من ظواهر خاصّة"[7].

وعلى ذلك فإنّ اللسانيّات الجغرافيّة ظهرت منذ نشأة المقارنة بين اللهجات، وقد كانت طريقة المقارنة تحظى بمكانة مرموقة في علم اللغويّات، فكان العلماء يقارنون بين لهجة وأخرى لمعرفة درجة الاختلاف بينهما، وفي جانب آخر قد أهملوا اللهجات المحلّيّة أو الحديثة عند إعادتهم صياغة اللغات الهندوربيّة واللاتينيّة الدارجة وغيرها من أصول اللغات، ويبدو أنّ الإهمال كان نتيجة لطريقة المقارنة بين اللهجات التي تقتضي البحث عن المقابلات اللغويّة في ماضي اللغة أكثر من حاضرها، والبحث في اللهجات الحديثة يزيد من تعقيد الأمور[8].

وكلّ هذا لا يدلّ على أنّه لا توجد مشاكل تتعلّق باللغات، بل ظهرت تلك المشكلات في مقدّمة اهتمام الباحثين، فكانوا يقومون بدراسة عدّة لغات مع بعض بدلا من دراسة كلّ لغة على حدة،

وإضافة إلى طرق البحث الدقيقة فقد أخذ العلماء مناقشة أصل كلّ لغة مناقشة فلسفيّة ودراسة طبيعتها، ولهذا نجد عددا من الكتب اللغويّة التي اهتمّت بدراسة اللغات إبّان القرن العشرين، يقف في طليعتهم (دي سوسير)[9].

ويذهب أغلب علماء الغرب إلى أنّ اللسانيّات الجغرافيّة قد بدأت على يد (مارتين سارمينتو*Martín Sarmiento*) في كتابه (المعجم الجغرافيّ للغات الرومانسيّة)، بيد أنّه لم يتابع البحث في هذا الموضوع، وتبعًا لذلك فقد اشتهرت وأتت أُكلها عندما بدأت الأطالس اللغويّة بالظهور؛ فهي تعطي صورة واضحة وشاملة لتوزيع اللهجات اللغويّة[10]؛ إذ انبثقت الإنجازات النظريّة للسانيّات الجغرافيّة انبثاقًا مباشرًا من العمل الميدانيّ، وازدهرت من خلال مسار العمل في إعداد الأطالس اللغويّة[11].

ويمكن أن نعدّ انطلاقة الأطلس اللغويّ الذي يتّصف بكونه الحقل العلميّ الأوّل الذي ظهر قبل موضوعه المركّز وانتمائه العلميّ، وجاءت هذه الأهمّيّة من كونه يشارك في معرفة اللغات واللهجات، فقد تعود بدايات الأطلس اللغويّ إلى المدرسة الألمانيّة في سنة (1876م) على يد (جورج فنكر)، وجاء بعده الأطلس الفرنسيّ على يد (جول جيليرون)؛ إذ مثّل الدروس اللسانيّة الفرنسية، وحقّق الشهرة الأبرز؛ لنشره أطلسًا لغويّا لفرنسا بين عامي (1902-1912م)[12].

وفي السياق نفسه فإنّ أوّل من بدأ التحريّات حول اختلاف اللغات واللهجات هم الفيلولوجيّين الألمان الذين توصّلوا إلى قانون التغيير الصوتيّ، فأطلقوا فرضيّة التغيير اللهجيّ الذي يحدث في لغة واحدة، فصُنّفت بسبب ذلك دراسة مكثّفة لمعرفة التصنيف الأسري للغة الواحدة، وكان لتلك المشاريع أهمّيّة كبيرة في ظهور اللسانيّات الجغرافيّة[13].

ومن الجدير بالإشارة أنَّ بعض الباحثين قد أهملوا اللغات الرسميّة التي تستعملها الدول، واتّجهوا إلى جمع المعلومات من السكّان المحلّيّين وخاصّة الأمّيّون، فأخذوا يسجّلون كلامهم وطريقة نطقهم للهجات، فأصبحت هذه الطرائق المتّبعة في البحث أساسا للسانيّات الجغرافيّة؛ ولهذه الطرائق الحديثة أهمّيّة بارزة في وصف المرحلة التي وصلت إليها كلّ لغة عبر إجراء بحث دقيق يعتمد على معايير وصفيّة بحته[14].

ويبدو أنّ للأطلس اللغويّ أهمّيّة كبيرة في نشأة اللسانيّات الجغرافيّة، فهو عبارة عن أداة فعّالة تجمع كمّا هائلا من المعلومات عن سكّان مدينة ما، أو عن متحدّثي لغة من اللغات في أيّة منطقة من المناطق، من أجل التخطيط في ضبط التعليم والتعلّم السليم للنظم اللغويّ[15].

ويرى بعض العلماء والباحثين أنّ السبب الكامن وراء نشأة الأطلس اللغويّ؛ هو صعوبة تحديد بعض حدود اللهجات، فقد يصعب على بعض الباحثين تحديد اللهجات كما حدث لبعضهم صعوبة تحديد من أين تبدأ الألمانيّة العليا وأين تنتهي الألمانيّة السفلى، وهذا كلّه ناتج فهم الناس

لبعضهم البعض حتّى وإن كانت لغاتهم التي يتحدّثون بها تختلف، وتختفي الخطوط الفاصلة بين لغة وأخرى في مناطق الانتقال وهي تعدّ تقسيمات اعتباطيّة عرفيّة لذلك أغلب سكان هذه المناطق يفهم بعضهم البعض[16].

وبعد أنّ طُوِّرت الأطالس اللغويّة في العالم وخاصّة في أوربا، نجد أنّ معظم العلماء قد اعتمدوا على تدوين الألفاظ الأكثر استعمالا والأسهل نطقا، فأنجزوا كتبا تحتوي على شواهد وأمثال مقتبسة من لهجة أو لغة ما، ومنهم الباحث (كوارث) الذي اهتمّ بدراسة الألفاظ المحلّيّة والإقليميّة المستعملة في الحياة اليوميّة، أيّ اللغة التي تتحدّث بها الطبقة الاجتماعيّة وعامّة الناس، وكذلك الخطاب المهذّب الذي تستعمله الطبقة المثقّفة[17].

وهذا ما نجده أيضا في عمل الباحث (أورتن) الذي درس اللهجات الإنجليزيّة وقدّم فيها معطيات عن عبارات مستخرجة من اللهجة المستعملة من قبل الفلاحين الذين يسكنون أطراف المناطق الريفيّة في إنكلترا، واستطاع بوساطة هذه الدراسة مسح نحو (400) خريطة برزت من خلالها الفوارق اللغويّة في النطق والمفردات والصرف والنحو، وأوضح أنّ لكلّ لهجة ظواهر مختلفة[18].

وفي الوقت نفسه نجد أنّ الأطالس اللغويّة قد تطوّرت بتطوّر التكنولوجيا الحديثة من حيث التقديم والاستعمال، ففي العصر الحديث نجد (ماك دافيد ويليام كراتشمر) قد أنجزا أوّل برمجيّة للتصرّف في البيانات اللغويّة التي تمثّلت في ربع مليون أجوبة صوتيّة للأسئلة المطروحة، وتكوّنت نتيجة لذلك قاعدة بيانات لجمع الخرائط المرتبطة بتلك القاعدة[19].

ومن هنا فيمكن أن نوجز بعض الأسباب التي دعت إلى ولادة اللسانيّات الجغرافيّة، ومنها ما يأتي[20]:

1. محاولة البحث . في الواقع اللغويّ . عن التفسير اللغويّ السليم لنظريّة النحاة الشبّان؛ إذ احتاجوا إلى هذا الاتّجاه من الدراسة؛ لأنّه يبعد اللغة عن الوقوع تحت تأثير الافراد والجماعات، ويقضي بتعطيل العوامل النفسيّة، والاجتماعيّة، وغيرها عن التأثير في اللغة، ولذا اندفع النحاة الشبان إلى اللهجات يدرسونها ويبحثون فيها عن التفسير الحقيقي لنظريتهم.
2. اتّجاه البحث اللغويّ الحديث إلى اللهجات، بعد أن كان يُنظر إليها نظرة تخلف وانحراف عن النموذج اللغويّ العامّ، فقد تغيّرت هذه النظرة عندما وجدوا الفجوة بين اللهجات وبين اللغة الفصحى قد اتّسعت، وأخذت (الازدواجيّة اللغويّة) تطلّ برأسها؛ لذلك فضّل اللغويّون عدم تجاهل اللهجات ونادوا بدراستها وفق المناهج الحديثة.
3. اتّجاهان في دراسة اللهجات، درس علماء اللغة اللهجات على أساس من المنهج الوصفيّ، وقد أخذت الدراسة اتّجاهين: الأوّل: محاولة وصف اللهجة؛ إذ يكتفى فيه بتحديد النظام الصوتيّ للهجة أو كلاهما، ويقضي هذا المنهج بتناول اللهجة بوصفها نظاما لغويّا كاملا، وأمّا الثاني: فهو

الاتّجاه الذي يُطلق عليه (اللسانيّات الجغرافيّة)؛ إذ اتّسم البحث فيه بالجهد في العمل الميدانيّ، وبالجهد المبذول في إعداد الأطالس اللغويّة للهجات.

وعلى ذلك فقد ساهمت الدراسة اللهجيّة في نشأة اللسانيّات الجغرافيّة في الدراسات الغربيّة، وعليه فقد نشأت البحوث اللغويّة الجغرافيّة على اكتاف البحوث اللهجيّة؛ نتيجة تراكم المعلومات عن خصائص اللهجات . في لغة ما . وعن توزيعها الجغرافيّ[21].

المحور الثاني: علميّة اللسانيّات الجغرافية:

وقبل البدء بالحديث عن علمية اللسانيات الجغرافية، يمكن أن نطرح سؤالًا مركزيّا مفاده هل اللسانيّات الجغرافيّة تمثّل ملمحًا علميًّا لدى (دي سوسير)؟ ولماذا خصّص لها حيزًا كبيرًا من محاضراته، على الرغم من أنّ (دي سوسير) لم يعطِ هذه المكانة لفروع اللسانيّات الأخرى، كاللسانيّات الاجتماعيّة، أو اللسانيّات النفسيّة؟

هذا السؤال يقودنا إلى بحث الخلفيّات المعرفيّة التي انطلق منها (دي سوسير)؛ للوقوف على إجابة حقيقيّة، وعلى ذلك فإنّ الدرس الغربيّ مرّت عليه حقبتين قبيل (دي سوسير)، تمثّلت فيما يأتي[22]:

الأوّل: حقبة الدراسات التاريخيّة المقارنة التي قادها اللغويّون الألمان، وقد تحكّم في مسار علميّة هذه المرحلة عاملان: العامل الأوّل: الظروف الخارجة عن العلم، ذات طبيعة ميتافيزيقيّة وإيديولوجيّة وعرقيّة؛ إذ شغلت الفكر الألمانيّ عمومًا، وعندئذ يغدو الانتماء لغير العلم عائقًا أمام فهم اللغويّين الألمان للظاهرة اللسانيّة موضوعيًّا، وبذلك فقد سيطرت الظروف غير العلميّة على توجيه الفكر اللغويّ الألمانيّ، وأمّا العامل الثاني: فيتمثّل في النموذج الإرشاديّ السائد؛ إذ استند اللغويّون المقارنون على نموذج صلب يضمنون به مقبوليّة المجتمع العلميّ، فقد توافر لهم نموذجي البيولوجيا، والفيزياء، وهذان النموذجان صنعا روحَه العلميّة، ويبرز ذلك في نتاجاتهم، فقد أفرز نموذج البيولوجيا أنّ النحو المقارن أقرب إلى علم التشريح المقارن، ورفع بعض التاريخيين شعارًا (اللغات مثل النباتات والحيوانات)[23] تأكيدًا لطبيعة اللغة البيولوجيّة، وبذلك انتهت الدراسات التاريخيّة المقارنة إلى أنّ اللغة كائن عضويّ، كأيّ كائن حيّ تمّر بمراحل الطفولة والشباب والكهولة، وأخيرًا الفناء، والبقاء للأصلح بحسب الأنواع، وعلى هذا فاللغة عندهم عضو بيولوجيّ يدرس بوصفه ظاهرة بيولوجيّة، أمّا نموذج الفيزياء، فقد أفادوا منه في تحليل الأصوات وتطوّراتها مثلما في قانون (جريم) وتطبيقاته التسعة على اللغات الهندوأوربيّة[24].

ثانيًا: حقبة النحاة الجدد (النحاة الشبّان): نهضت هذه الحقبة على جهود باحثين شبّان غير متعصّبين لأسلافهم كبار المجتمع العلميّ التاريخيّ المقارن، تصدّر هؤلاء النحاة المشهد العلميّ؛ بسبب إقصاء كلّ الظروف الخارجيّة التي تحكّمت بالعلم في الحقبة السابقة، من قبيل (ميتافيزيقيّة

وإيديولوجيّة وعرقيّة)؛ لأنها تسبّبت بمشكلات علميّة أبرزها هيمنة القبليّات الذاتيّة على البحث اللغويّ ممّا أدّى إلى غياب الموضوعيّة والشموليّة، والدقّة، والاستيعاب، والإنتاجيّة، ثمّ خطا النحاة الشبّان خطوة هدّمت النموذج البيولوجيّ، ولم تعد البيولوجيا مرجعيّة لهم؛ لأنّ اللغة في نظرهم ليست عضويّة، وراحوا باتّجاه صياغة المنهج التاريخيّ بديلًا عنها، وعلى ذلك أصبحت اللسانيّات علمًا تاريخيًّا وليس طبيعيًّا، وهذا يعني أنّها مكتسبة من الأحداث الثقافيّة والإنسانيّة، ومن جانب آخر عمدوا إلى تفعيل نموذج الفيزياء؛ ليقرّبهم إلى علميّة اللغة، بعد أن كان نصيبه ضئيلًا لدى اللغويّين المقارنين، فقد أفاد الشبّان من نموذج الفيزياء حدّ المبالغة، فكان من فرط شغفهم بتحقيق العلميّة والوصول باللسانيّات إلى مصاف العلوم الطبيعيّة.

ومن الجدير بالذكر أنّ (وليام وينتي) شذَّ عن النمط السائد في عصره، أيّ إنّه لم ينظر إلى اللغة على أنّها كائن عضويّ طبيعيّ مثلما ذهب المقارنون التاريخيّون، أو أنّها حدث تاريخيّ يحلّل فيزيائيا على نحو ما رقمه النحاة الجدد، بل إنّ اللغة عنده ظاهرة اجتماعيّة تواصليّة[25]، وعلى ذلك فقد درس لغة قومه اللغة (الهندو أمريكية)، مؤلّفًا فيها قاموسًا لغويًّا[26].

وانطلاقا ممّا تقدّم ثَمَّ سؤال يعرض هنا، وهو: لماذا لم يُحدث النحاة الشبّان ثورة لسانيّة على الرغم من كلّ التحوّلات التي أحدثوها على الدرس اللسانيّ؟

ويمكن اختصار الإجابة على هذا السؤال في أنّ بحوثهم ظلّت تدور في أطر محلّيّة، ممّا دعاهم إلى الانشغال بالجزئيّات والتفاصيل، وأهملوا العموميّات؛ ممّا زاد من محدوديّة معالجاتهم؛ وهذا بدوره أدّى إلى فقدانهم أهمّ سمتين في العلميّة وهما الشموليّة، والاستيعاب، وبضياعهما تقلّصت سمة الإنتاجيّة ليفقد البحث العلميّ السمة الثالثة، وهذا السبب لا ينطبق على (وينتي) بالدرجة نفسها؛ لأنّه قال باجتماعيّة اللغة، ونظر إلى اللغة عمومًا، إلّا أنّه لم يفد من مبدأ التعميم بتكوين علم اللغة العامّ كما فعل (دي سوسير)، ومن جانب آخر اختلاط البحث اللغويّ الداخليّ بالخارجيّ؛ وهذا سببه عدم تحديدهم موضوع البحث اللغويّ بدقّة اللغة مختلطة مع خارجها سواء ما تتحدّث عنه كالتاريخ أو الأيديولوجيا أو ما يسمح أن تكون كالبيولوجيا والفيزياء والمجتمع، وهذا ما جعلها منتمية إلى خارجها، وعليه افتقر البحث اللغويّ إلى سمة الاستقلاليّة[27]؛ بسبب عدم تحديده الموضوع؛ إذ غاب هذا التحديد عن الحقب السابقة ل(دي سوسير)[28].

وفي ظلّ المناخ العلميّ المتقدّم نشأ (دي سوسير) فكان اللغويّ الوفي لروح عصره تثقّف بثقافته وامتثل لمناهجه، وقد حملت ظروفه على التنقّل بين ألمانيا وفرنسا فكان متمثّلا لخصائص الثقافة الأوربيّة من أغرز مواردها وقد زاوج في تكوينه العلميّ بين (جنيف) و(ليبزغ)[29]، وبذلك فقد أخذ من الدراسات التاريخيّة المقارنة، ومن الأفكار التي جاد بها النحويّون الشبان لتكوين شخصيّته العلميّة.

ومن هنا فإنّ الخلفيّات المعرفيّة التي سبقت (دي سوسير) امتازت بكونها ذات نسق علميّ جزئيّ، أو شبه علميّ، حاولت أن تقترب من منطقة العلم باعتمادها على الفيزياء في تحليل ظواهر اللغة[30]، ولذا فقد أفاد (سوسير) منها في صياغة نظريّته اللغويّة.

وإذا رجعنا إلى السؤال المركزيّ الذي قادنا إلى بحث خلفيّات (دي سوسير) المعرفيّة، لا بد أن نقف على تعريف (سوسير) للسانيّات؛ إذ يرى أنّ "اللسانيّات هي الدراسة العلميّة للغة"[31]، وبعبارة أخرى تُدرس اللغة الإنسانيّة دراسة علميّة تقوم على الوصف ومعاينة الواقع بعيدًا عن النزعة التعليميّة والأحكام المعياريّة"[32] وعلى ذلك حاول (سوسير) في محاضراته إثبات علميّة اللغة من جهة، وفصل الدراسة اللغويّة الداخليّة عن الخارجيّة من جهة ثانية، وهذا ما جعله يحدّد موضوعات اللسانيّات بدقّة عالية تخرجها عن ميادين الدراسات التاريخيّة المقارنة، وانطلاقًا من هذا التحديد عرّف (سوسير) اللغة بأنّها "نظام من الإشارات جوهره الوحيد الربط بين المعنى والصورة"[33]هذا النظام قائم على مجموعة من العناصر المكوّنة له، تكتسب قيمتها من اتّحادها مع العناصر الأخرى التي تتّصف دائمًا بالثبات والاستقرار في ظلّ نظام عام له القدرة على التحكم بهذه العناصر.

وتأسيسًا على هذا الفهم فإنّ نظام (دي سوسير) قائم على مبدأ العلميّة؛ إذ حرص (سوسير) على تكريس هذا المبدأ في كلّ محاضراته؛ ومن ثمّ فإنّ كل العناصر المكوّنة للنظام اتّسمت بصفة العلميّة، ومنها اللسانيّات الجغرافيّة التي تمثّل جزءًا كبيرًا من محاضراته، وقد تجلّت مظاهر العلميّة فيها عن طريق موضوعاتها ومنها (الأطلس اللغويّ، ورسم الخرائط، والإحصاء والتوزيع اللغويّ، والمسح الميدانيّ) كلّ هذه الموضوعات تتّصف بالعلميّة وهي أقرب إلى الرياضيات التي تمثّل أسّ العلم؛ لذلك حقّقت اللسانيّات الجغرافيّة نتائج مهمّة وفاعلة في الساحة اللسانيّة؛ نتيجة التزامها بالصيغة العلميّة والصرامة المنهجيّة[34].

ونخلص ممّا سبق إلى أنّ (دي سوسير) عمد إلى اللسانيّات الجغرافيّة؛ لأنّها تؤلّف ملمحًا علميًّا يقرّبه من منطقة العلم، وتتّفق مع فكرة محاضراته القائمة على مبدأ العلميّة، فضلًا عن مظهر اللسانيّات الجغرافيّة الذي ينسجم مع الخلفيّة الفيلولوجيّة التي انطلق منها وساهمت في تكوينه المعرفيّ.

ولم يعطِ (دي سوسير) المكانة التي أعطاها للسانيّات الجغرافيّة إلى فروع اللسانيّات الأخرى، كاللسانيّات الاجتماعيّة على الرغم من تأثّره بمذهب (دور كايم) في النظر إلى علاقة اللغة بالمجتمع[35]، واللسانيّات النفسيّة التي لمح إليه بعبارة بسيطة في قوله: "فكلّ ما في اللغة إنّما هو في جوهره نفسيّ، بما في ذلك مادّة اللغة، ومظاهرها الآليّة"[36]؛ ولعلّ السبب في ذلك يعود إلى أنّ هذه الفروع تبعده عن منطقة العلم التي مثّل أُسّها الرياضيات، فاللسانيّات الاجتماعيّة تخلو من مظهر علميّ صرف؛ لذلك أبعدها من منهجه وعدّها ثانويّة[37]، وأمّا اللسانيّات النفسيّة ليس لها وجود

حقيقيّ ملموس؛ وإنّما عمليّات ذهنيّة؛ ولهذا فإنّ "علم اللغة النفسيّ لم يشغل فكر دي سوسير، وليس له مكان في مبادئه"[38]، في مقابل ذلك ثَمَّ أسباب جعلت (دي سوسير) يؤسّس للسانيّات الجغرافيّة منها علميّة اللسانيّات الجغرافيّة؛ فقد تصنّف (الجغرافية) عادة مع العلوم الصرفة، وتماشيًا مع خلفيّته العلميّة التي انطلق منها، وإلى جانب ذلك فإنّ تأثير أسرته ذات الطابع العلميّ الطبيعيّ[39] حدا به إلى محاكاة طرائق العلوم الطبيعيّة في بحثه اللغويّ[40] ومنها العلوم الجغرافيّة.

وخلاصة ذلك أنّ (سوسير) قد اتّكأ على الواقع اللسانيّ السائد في عصره في اتّجاهاته كلّها، وانتقى منه ما يخدم فكرته اللسانيّة التي تجعل العامل الجغرافيّ في مقدّمة العوامل المؤثّرة في اللغة، ممّا أفضى به إلى نتاج لسانيّ جغرافيّ من غير مغادرة الحقول اللسانيّة الأخرى، وبصورة نستطيع معها أن نقول: إنّ (سوسير) أفاد من البحث التأريخيّ المقارن والبحث الاجتماعيّ، وقدّم صفوة جهده في اللسانيّات الجغرافيّة التي مثّلت في رأيه مركز الدراسة العمليّة للغة، وهي أن تُدرس اللغة في مكانها، ومن مكانها إلى المتكلّم بها، ومن المتكلّم إلى المجتمع، وبهذا تكون اللسانيّات الجغرافيّة أكثر ارتباطا بالحقول الأخرى؛ لأنّها تمثّل المحور في الدرس اللسانيّ الحديث.

خاتمة:

إنّ الدراسة اتّخذت فرعًا من فروع اللسانيّات مشغلًا لها، وهو اللسانيّات الجغرافيّة، وحاولت استقراء الفكر اللسانيّ الجغرافيّ، بهدف الكشف عن هذا الفرع في البيئة الغربيّة، وقد توصّلت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج، يمكن إجمالها بمايأتي:

1. انطلقت اللسانيّات الجغرافيّة على المستوى الغربيّ من أعمال (فنكر) و(جيليرون)، واكتسبت مع (دي سوسير) صفة العلميّة والاستقرار والنضج المعرفيّ، على أنّ جذورها بدأت من محاولة (دانتي) في كتابة (العامّيّة والفصحى) وتوالت الجهود كلٌّ يضع لبنة في صالح الفكر اللغويّ الجغرافيّ، على أنّ ثَمَّ أسبابا دعت إلى نشأة هذا العلم؛ منها محاولة الوقوف على إجابات حقيقيّة للكثير من القضايا اللغويّة.
2. إنّ (دي سوسير) قد اتّكأ على الواقع اللسانيّ السائد في عصره في اتّجاهاته كلّها، وانتقى منه ما يخدم فكرته اللسانيّة التي تجعل العامل الجغرافيّ في مقدّمة العوامل المؤثّرة في اللغة، ممّا أفضى به إلى نتاج لسانيّ جغرافيّ من غير مغادرة الحقول اللسانيّة الأخرى، وبصورة نستطيع معها أن نقول: إنّ (سوسير) أفاد من البحث التأريخيّ المقارن والبحث الاجتماعيّ، وقدّم صفوة جهده في اللسانيّات الجغرافيّة التي مثّلت في رأيه مركز الدراسة العمليّة للغة، وهي أن تُدرس اللغة في مكانها، ومن مكانها إلى المتكلّم بها، ومن المتكلّم إلى المجتمع، وبهذا تكون اللسانيّات الجغرافيّة أكثر ارتباطا بالحقول الأخرى؛ لأنّها تمثّل المحور في الدرس اللسانيّ الحديث.

الإحالات:

[1]ينظر: سامسون،جفري، 1994،مدارس اللسانيات، التسابق والتطور،مطابع جامعة الملك سعود، الرياض: 27

[2]ينظر: باي، ماريو، 1970 م، لغات البشر، تر: د. صلاح العربي، القاهرة:7، وافيتش، ميلكا، (د.ت)، اتجاهات البحث اللساني، تر: د. سعد عبد العزيز مصلوح، ود. وفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القوميّ للترجمة: 115.

[3]ينظر: باي، ماريو، 1970 م، لغات البشر، تر: د. صلاح العربي، القاهرة:6، روبنز. ر. هـ، 1997م، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، تر: د. أحمد عوض، عالم المعرفة، ع227: 238، وعلاّم، عبد العزيز أحمد، 2006م، في علم اللغة العام، مكتبة المتنبي، الدمام: 325.

[4]ينظر: باي، ماريو، 1970 م، لغات البشر، تر: د. صلاح العربي، القاهرة: 6.

[5]ينظر: باي، ماريو، 1970 م، لغات البشر، تر: د. صلاح العربي، القاهرة: 7.

[6]ينظر: باي، ماريو، 1970 م، لغات البشر، تر: د. صلاح العربي، القاهرة: 7.

[7]باي، ماريو، 1970 م، لغات البشر، تر: د. صلاح العربي، القاهرة: 10

[8] ينظر: باي، ماريو، 1970 م، لغات البشر، تر: د. صلاح العربي، القاهرة: 74.

[9] ينظر: باي، ماريو، 1970 م، لغات البشر، تر: د. صلاح العربي، القاهرة: 10

[10]ينظر: باي، ماريو، 1970 م، لغات البشر، تر: د. صلاح العربي، القاهرة: 11، 75.

[11] ينظر: افيتش، ميلكا، (د.ت)، اتجاهات البحث اللساني، تر: د. سعد عبد العزيز مصلوح، ود. وفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القوميّ للترجمة: 116.

[12]ينظر: افيتش، ميلكا، (د.ت)، اتجاهات البحث اللساني، تر: د. سعد عبد العزيز مصلوح، ود. وفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القوميّ للترجمة: 117.

[13]ينظر: جيدور، عبد الكريم، 2018م، مراحل إنجاز الأطالس اللسانية العامّة دراسة حول تجربة الأطلس العام لشمال أمريكا، أشغال الملتقى الدولي الأول حول الأطالس اللسانية (الآليات والتجارب)، وحدة البحث اللساني وقضايا اللغة العربية في الجزائر،130.

[14]ينظر: باي، ماريو، 1970 م، لغات البشر، تر: د. صلاح العربي، القاهرة: 75.

[15] ينظر: صادق، فاطمةالزهراء، (د.ت)، جغرافية اللغة ونظم المعلومات، مقالة، عود الند مجلة ثقافية فصلية، ع111: 3.

[16] ينظر: غلفان، د. مصطفى ،2010م، في اللسانيّات العامّة تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، دار الكتاب الجديدة المتحّدة، بيروت: 220-218.

[17] ينظر: خمقاني، مباركة، مناع، نور الدين، خمقاني، حفصة 2021م، الأطالس اللسانية ودورها في بناء قاعدة البيانات لبنوك المصطلحات العربيّة، مجلة قضايا لغوية، مج2، ع5: 5

[18] ينظر: خمقاني، مباركة، مناع، نور الدين، خمقاني، حفصة 2021م، الأطالس اللسانية ودورها في بناء قاعدة البيانات لبنوك المصطلحات العربيّة، مجلة قضايا لغوية، مج2، ع5: 5

[19] ينظر: خمقاني، مباركة، مناع، نور الدين، خمقاني، حفصة 2021م، الأطالس اللسانية ودورها في بناء قاعدة البيانات لبنوك المصطلحات العربيّة، مجلة قضايا لغوية، مج2، ع5: 5.

[20]ينظر: علاّم، عبد العزيز أحمد، 2006م، في علم اللغة العام، مكتبة المتنبي، الدمام: 325-328.

[21]ينظر: علاّم، عبد العزيز أحمد، 2006م، في علم اللغة العام، مكتبة المتنبي، الدمام: 328.

[22]ينظر: جاسم، أنفال، 2020م، الإنسان في الفلسفة اللسانية قراءة في ابستيمولوجيا اللسانيات، دار كنوز المعرفة، الأردن: 150-152.

[23]ينظر: سامسون،جفري، 1994،مدارس اللسانيات، التسابق والتطور،مطابع جامعة الملك سعود، الرياض: 6، وجاسم، أنفال، 2020م، الإنسان في الفلسفة اللسانية قراءة في ابستيمولوجيا اللسانيات، دار كنوز المعرفة، الأردن: 151.

[24]ينظر: كللر حوناث، 2000م، فردينان دو سوسير تأصيل علم اللغة الحديث وعلم العلامات، تر: محمود حمدي عبد الغني، مراجع محمود فهمي حجازي، المجلس الأعلى للثقافة المشروع القومي للترجمة، القاهرة: 78، وجاسم، أنفال، 2020م، الإنسان في الفلسفة اللسانية قراءة في ابستيمولوجيا اللسانيات، دار كنوز المعرفة، الأردن: 152.

[25]ينظر: آن بافو، ماي، والياسرفاتي، جورج ،2012م، النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، تر: محمد الراضي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت: 65، وجاسم، أنفال، 2020م، الإنسان في الفلسفة اللسانية قراءة في ابستيمولوجيا اللسانيات، دار كنوز المعرفة، الأردن 152.

[26]ينظر: وجاسم، أنفال، 2020م، الإنسان في الفلسفة اللسانية قراءة في ابستيمولوجيا اللسانيات، دار كنوز المعرفة، الأردن: 154-155.

[27]ينظر: افيتش، ميلكا، (د.ت)، اتجاهات البحث اللساني، تر: د. سعد عبد العزيز مصلوح، ود. وفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القوميّ للترجمة: 87.

[28]ينظر: وجاسم، أنفال، 2020م، الإنسان في الفلسفة اللسانية قراءة في ابستيمولوجيا اللسانيات، دار كنوز المعرفة، الأردن: 157.

[29] ينظر: المسديّ، د. عبد السلام، (د. ت)، ما وراء اللغة – بحث في الخلفيات المعرفية، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس: 9.

[30]ينظر: وجاسم، أنفال، 2020م، الإنسان في الفلسفة اللسانية قراءة في ابستيمولوجيا اللسانيات، دار كنوز المعرفة، الأردن: 157.

[31]غلفان، د. مصطفى،2010م، في اللسانيّات العامّة تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، دار الكتاب الجديدة المتحّدة، بيروت:193.

[32]قدور، د. أحمد محمد، 2011 م، مبادئ اللسانيات، الدار العربية، بيروت، لبنان: 15.

[33]دي سوسير، فرديناند، 1988م، علم اللغة العام، تر: يوسف يوئيل عزيز، بيت الموصل، بغداد): 33.

[34]ينظر: جعفر، مشتاققاسم، 2021م، اللسانيات الرياضية الابعاد والمظاهر والمحاولات، كنوز المعرفة، الأردن: 37.

[35]ينظر: جاد الرب، محمود، 1985م، علم اللغة نشأته وتطوره، دار المعارف، مصر: 85.

[36]دي سوسير، فرديناند، 1988م، علم اللغة العام، تر: يوسف يوئيل عزيز، بيت الموصل، بغداد24.

[37]ينظر: كزار، حسن، 2018م، اللسانيات الاجتماعية في الدراسات العربية الحديثة التلقي والتمثلات، دار الرافدين، بيروت 201.

[38]بشر، د.كمال، 2005م، التفكير اللغويّ بين القديم والجديد، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة: 192.

[39]ينظر: غلفان، د. مصطفى، 2017م، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، دار الكتاب الجديدة، بيروت: 99-103.

[40]ينظر: وجاسم، أنفال، 2020م، الإنسان في الفلسفة اللسانية قراءة في ابستيمولوجيا اللسانيات، دار كنوز المعرفة، الأردن:163

المراجع:

- سامسون،جفري، 1994،مدارس اللسانيات، التسابق والتطور،مطابع جامعة الملك سعود، الرياض.
- باي، ماريو، 1970 م، لغات البشر، تر: د. صلاح العربي، القاهرة.
- افيتش، ميلكا، (د.ت)، اتجاهات البحث اللساني، تر: د. سعد عبد العزيز مصلوح، ود. وفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القوميّ للترجمة.
- روبنز. ر. هـ، 1997م، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، تر: د. أحمد عوض، عالم المعرفة، ع227.
- علاّم، عبد العزيز أحمد، 2006م، في علم اللغة العام، مكتبة المتنبي، الدمام.
- جيدور، عبد الكريم، 2018م، مراحل إنجاز الأطالس اللسانية العامّة دراسة حول تجربة الأطلس العام لشمال أمريكا، أشغال الملتقى الدولي الأول حول الأطالس اللسانية (الآليات والتجارب)، وحدة البحث اللساني وقضايا اللغة العربية في الجزائر.
- صادق، فاطمة الزهراء، (د.ت)، جغرافية اللغة ونظم المعلومات، مقالة، عود الند مجلة ثقافية فصلية، ع111.
- غلفان، د. مصطفى ،2010م، في اللسانيّات العامّة تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، دار الكتاب الجديدة المتحّدة، بيروت.
- خمقاني، مباركة، مناع، نور الدين، خمقاني، حفصة 2021م، الأطالس اللسانية ودورها في بناء قاعدة البيانات لبنوك المصطلحات العربيّة، مجلة قضايا لغوية، مج2، ع3.
- جاسم، أنفال، 2020م، الإنسان في الفلسفة اللسانية قراءة في ابستيمولوجيا اللسانيات، دار كنوز المعرفة، الأردن.
- كللر جوناث، 2000م، فردينان دو سوسير تأصيل علم اللغة الحديث وعلم العلامات، تر: محمود حمدي عبد الغني، مراجع محمود فهمي حجازي، المجلس الأعلى للثقافة المشروع القومي للترجمة، القاهرة.

- آن بافو، ماي، واليا سرفاتي، جورج ،2012م، النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، تر: محمد الراضي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.
- المسديّ، د. عبد السلام، (د. ت)، ما وراء اللغة – بحث في الخلفيات المعرفية، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس.
- غلفان، د. مصطفى،2010م، في اللسانيّات العامّة تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، دار الكتاب الجديدة المتحّدة، بيروت.
- قدور، د. أحمد محمد، 2011 م، مبادئ اللسانيات، الدار العربية، بيروت، لبنان.
- دي سوسير، فرديناند، 1988م، علم اللغة العام، تر: يوسف يوئيل عزيز، بيت الموصل، بغداد.
- جعفر، مشتاق قاسم، 2021م، اللسانيات الرياضية الابعاد والمظاهر والمحاولات، كنوز المعرفة، الأردن.
- جاد الرب، محمود، 1985م، علم اللغة نشأته وتطوره، دار المعارف، مصر.
- كزار، حسن، 2018م، اللسانيات الاجتماعية في الدراسات العربية الحديثة التلقي والتمثلات، دار الرافدين، بيروت.
- بشر، د. كمال، 2005م، التفكير اللغويّ بين القديم والجديد، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- غلفان، د. مصطفى، 2017م، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، دار الكتاب الجديدة، بيروت.